

# فرنسا وسوسيولوجيا الإسلام الكلاسيكية 1962-1798

إدموند بورك

ترجمة: يونس لوكيلي



جميع الحقوق محفوظة  
مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات و الأبحاث

All rights reserved  
Mominoun Without Borders

## فرنسا وسوسيولوجيا الإسلام الكلاسيكية 1798-1962\*

إدموند بورك\*\*

ترجمة: يونس لوكيلي

مراجعة: فاطمة أكنطور\*\*\*

---

\* العنوان الأصلي للمقال:

Burke, III, E.( 2007). France and the Classical Sociology of Islam, 1798-1962 , In: The Journal of North African Studies, Vol. 12, No. 4.(551-561).

\*\* أستاذ التاريخ بجامعة كاليفورنيا، سانتا كروز، حيث يدير، أيضا، مركز التاريخ العالمي، وهو مؤلف لعدد من الكتب والمقالات حول إفريقيا الشمالية، والعالم العربي والتاريخ العالمي. حصل على الدكتوراه من جامعة برينستون سنة 1970 بأطروحة حول "الاستجابات السياسية المغربية تجاه الاختراق الفرنسي 1900-1912". شارك في تأليف كتاب "حفريات الاستشراق: التاريخ والنظرية والسياسات". وله تحت الطبع "الدولة الإثنوغرافية: فرنسا والإسلام والمغرب 1890-1930". (المترجم)

\*\*\* باحثة مختصة في الأدب الإنجليزي.

أسعى في هذا المقال إلى تتبع الأصول الفكرية لما سأسميه سوسيولوجيا الإسلام الكلاسيكية، بدءاً من أصولها التي تعود إلى الرحلة الاستكشافية لمصر سنة 1798 وحتى الاستقلال الجزائري سنة 1962. إنني أدافع على أنه خلال الفترة الممتدة بين ذينك التاريخين، قدم المستشرقون الفرنسيون، والإثنولوجيون، وموظفو الشؤون الأهلية أرشيفا غنياً ومتناسقاً يثير الإعجاب فيما يتعلق بالمجتمعات الإسلامية الإفريقية والمتوسطة. وفي الصفحات التالية سأقوم باستكشاف الملامح الرئيسية للتقليد الفرنسي في سوسيولوجيا الإسلام، وأناقش بعض إنجازاته الأساسية، وكذلك أبرز ثغراته. وسأسعى جاهداً إلى التنقيب في أصوله الفكرية المعقدة، من أجل ربطه بالخصائص المتحولة للسياسة الفرنسية، والمجالات الثقافية، متجاوزاً زمن المرحلة التي اشتغلنا عليها بين 1798-1962. وسأوجّل النقاش المثير حول إعادة اكتشاف الدراسات الفرنسية للإسلام والمجتمعات المسلمة منذ 1962 إلى مناسبة أخرى. فهو موضوع مهم في حد ذاته.

أبدأ بالتأكيد التالي: لم يكن ما سمي سوسيولوجيا الإسلام إلا اختراعاً فرنسياً. بالفعل، يعي أغلب العلماء العالميين، منذ زمن طويل، أنهم حينما يدرسون الإسلام في هذه المرحلة، تكون لفرنسا السلطة العليا (hyper-pouvoir). لكن، ماذا أعني بسوسيولوجيا الإسلام؟ بغض النظر عن ازدهار الدراسات حول الإسلام في وقتنا الحالي، فإنني لا أعتقد أنّ [سوسيولوجيا] الإسلام تخصص فرعي في سوسيولوجيا الدين، على اعتبار أنّ هذه الأخيرة تعود إلى أصول ما بعد كولونيلية (Colonna, 1995)، كما لا أعني التخصص المرتكز أساساً على فقه اللغة، والمعروف بالاستشراق، الذي ادعى في أوج أيامه أنه يقدم "علم المجتمع" (de Sacy)<sup>1</sup>، وشبكة تأويلية من أجل فهم المجتمعات المسلمة. وفي هذا الموضوع قدم إيوارد سعيد من خلال كتابه الكلاسيكي "الاستشراق" تأويلاً قوياً، وبالغ الإقناع قطعاً. إنّ تركيزي في هذا الموضوع العريض ينصب على ما أسميه (مع التشويش المتعمد) سوسيولوجيا المجتمعات المسلمة. من خلال تسمية موضوعنا بهذا الشكل، لا أبحث، عن ربطه فحسب بالإحصاءات الاجتماعية، التي تمثل التوجه المركزي في السوسيولوجيا الفرنسية، وذلك منذ أصولها التنويرية في "الرياضيات السياسية" (Political arithmetic) وحتى ظهور المدارس الأكاديمية في القرن التاسع عشر بقيادة كومت ودوركهايم، بل ربطه، أيضاً، بالتوجه الذي لم يُعترف به بما يكفي في تطوير السوسيولوجيا الفرنسية؛ أي علم الملاحظة الاجتماعية التي استعملت الملاحظة المباشرة لدراسة الأفراد والجماعات. في هذه الحالة، فإنّ سوسيولوجيا الإسلام تضم مجموع الأعمال الدالة المنتجة حول المجتمعات الإسلامية من قبل ضباط المكاتب الأهلية (بيروآراب)، والهواة المدنيين، والأكاديميين الفرنسيين. وكما سنرى، فقد قدمت سوسيولوجيا الإسلام الفرنسية وجهة نظر متميزة، سيعاد من خلالها تقييم تاريخ السوسيولوجيا

<sup>1</sup> - دو ساسي، أنطوان إسحاق بارون سلفستر (1758-1838)، عالم لسانيات ومستشرق فرنسي، ويعد مؤسس الاستشراق الحديث. (المترجم).

الفرنسية من جهة، ونظرية إدوار سعيد المؤثرة من جهة أخرى. وفي الختام سأعود باختصار لأشرح رؤيتي لهما بوصفهما موضوعين متشابهين.

## سوسيولوجيا الإسلام الفرنسية: الأصول

حينما نشر إدوارد سعيد كتاب الاستشراق سنة 1978، قام الإجماع في التقليد الفرنسي على بداية سوسيولوجيا الإسلام من ذلك المتن الضخم للرحلة الاستكشافية النابوليونية لمصر سنة 1798، والذي يقع في 23 جزءاً، والمعروف بوصف مصر (1809-22). يرى سعيد أنّ كتاب وصف مصر هو المثال الكامل للمعرفة الفوكوية/ آلة السلطة الخطابية (power discursive machine) الذي رسم خريطة الشرق من أجل الهيمنة الفرنسية، وأيضاً الإعداد للاكتشاف الأوروبي والسيطرة في نهاية الأمر. إنّ وصف مصر متجذر بقوة في الثقافة الفكرية للتتوير الفرنسي، من حيث الطموح الدفين لتقديم الاكتشاف الكامل للمصادر المصرية تاريخياً ومجتمعاً من جهة أولى، ثم إدماج المعرفة والسلطة تحت مظلة الاكتشاف النابوليوني لمصر (1798) من جهة أخرى. على الرغم من أنّي أتفق مع سعيد في أنّ وصف مصر دشّن الخطاب المسمى الاستشراق باعتباره نظاماً متسقاً للثنائيات (شرق/غرب، تقليدي/عصري) مرتبباً بالسلطة، أجد أنّ صياغته غير كافية من نواحٍ أخرى؛ إذ لم ينجح في تقديم الأصول الفكرية الكاملة للاستشراق، ولا السوسيولوجيا التاريخية لمؤلفيه. إنّ مقارنة سعيد غير كافية من حيث هي تاريخ للاستشراق. وقد أخفقت أيضاً في وضعه داخل سياقات التحولات السياسية والثقافية بفرنسا، وأوروبا، والعالم. وفي كتابي القادم، فرنسا وسوسيولوجيا الإسلام 1798-1962، أكتشف بتفصيل كبير نتائج غياب هذه الانشغالات في تحليل سعيد (Burke, submitted b). وهنا أود فقط تقديم عناصر حجتي باقتضاب، علماً أنّي قمت في مكان آخر بتقديم نقد مطوّر لاستشراق سعيد (Burke and Prochaska, 2008).

إنّنا سننطلق في رحلة فكرية مختلفة، وبدلاً من البدء من سؤال الاستشراق، سوف نشرع من إشكالية أصول حقل السوسيولوجيا في فرنسا. وهذا التحرك لا يمكننا من وضع سوسيولوجيا الإسلام بشكل أفضل في سياق الامبريالية الأوروبية الأولى فحسب، بل أيضاً ضمن الحقل الفكري الأكبر الذي ظهر فيه (المظهر المخفي في مقارنة سعيد)، ألا وهو الفكر الاجتماعي التتويري، وتراث الثورة الفرنسية. وللقيام بهذا الأمر يجب أن نغيّر المنظرين من فوكو/غرامشي إلى بورديو. يمكننا، بشكل فعّال، تمييز بورديو (1976، Bourdieu 1984) بين الحقل السياسي والحقل الثقافي من وضع منتجي سوسيولوجيا الإسلام في سياقهم، ورصد تحول علاقتهم بحقلي السلطة والمعرفة على طول تاريخ هذا التقليد الفكري. نستطيع بهذه الطريقة أن نرى بشكل أفضل تعقد العلاقات بين الاستشراق (وأحد مظاهره الخاصة الذي أدعوه هنا

سوسيولوجيا الإسلام) والتنوير من جهة، وتراث الثورة الفرنسية من جهة أخرى. ويسمح لنا أيضًا بتتبع المحددات الفكرية الخاصة بهذا الحقل.

تبدأ أصول سوسيولوجيا الإسلام الفرنسية من كتاب رحلة إلى مصر وسوريا (1787)، لقسطنطين فرانسوا فولني شاسبوف (Costantin-François Volney Chasseboeuf) (1787). كان فولني مرتبطًا بمجموعة (Desttut de Tracy and Cabanis). وهو أيضًا عضو مؤسس لجمعية "ملاحظو الإنسان" (SOH) Société des Observateurs de l'homme، ومناصر قوي للإحصاءات الاجتماعية (أو الرياضيات السياسية، كما كان معروفًا حينها). سعى مؤسسو جمعية "ملاحظو الإنسان" إلى تطوير مقاربة نظرية تؤسس للملاحظة الاجتماعية. وقدمت رحلة فولني نموذجًا للرحلة بوصفها نشاطًا علميًا لفائدة جيل من العلماء والمثقفين الذين كتبوا وصف مصر. وكان التزام فولني بالملاحظة العلمية عاملاً استباقيًا لتطوير منهج العمل الميداني في الإثنولوجيا، ولعب، أيضًا، دورًا خفيًا في التخطيط للرحلة الاستكشافية لمصر، وهو أمر موثق تاريخيًا. وقد قدم نابليون نسخة من رحلات فولني للإداريين المشاركين في رحلته. ومع ذلك، نادرًا ما عُرف دور فولني عضوًا قياديًا في جهاز الاستعلامات خلال الثورة الفرنسية. وباعتباره ثوريًا وعالمًا اجتماعيًا، لم يبرز مدافعًا عن الإمبراطورية فقط، بل رائدًا لنوع خاص من الملاحظة الاجتماعية، والسياسات الاستعمارية. ومعلوم أنّ المقالات المنشورة في الدولة الحديثة<sup>2</sup> حول المجتمع المصري المعاصر استلهمت مثل الثورة الفرنسية والتركيز على الملاحظة الاجتماعية من فولني. وبخصوص ذلك، وكما أثبت في مكان آخر (submitted a)، فإنّ تلك المقالات تختلف بشكل ملحوظ عن الإثنوغرافيا الكولونيالية المتأخرة.

يعد كتاب وصف مصر العمل الأول في سلسلة من المشاريع الفرنسية التي امتدت على نطاق واسع إبان القرن التاسع عشر بهدف الرسم الميداني للخريطة الجغرافية، والجيولوجية، والعلمية، والإثنوغرافية للمجال الذي تريد الامبريالية الفرنسية العمل فيه. وصاحبت أبحاث الرحلات الاستكشافية، أيضًا، وحدات الجنود الفرنسية إلى اليونان سنة 1829-31، والجزائر 1839-42 التي نشرت كمية كبيرة من المعلومات العلمية. وأسفر هذا التراكم (كما وصفته مؤخرًا ندوة علمية) على اكتشاف العالم المتوسطي بوصفه موضوعًا للدراسة العلمية (Bourguet et al, 1998). وبدون قصد، سمح كذلك باكتشاف الإسلام موضوعًا للبحث العلمي. تبدأ أصول بحثنا، إذن، مع فولني ووصف مصر، لكنه يتضمن أيضًا 37 جزءًا من مؤلف الاكتشاف العلمي للجزائر (1844-67)، والأجزاء الأربعة لوثائق من أجل دراسة الشمال

<sup>2</sup> - يقصد الكاتب مؤلف القنصل البريطاني العام إيفلين بارنج (1841-1917) الذي بقع في مجلدين، وفيه يقيم سياسة الاحتلال البريطاني، ويروي الأحداث التفصيلية التي جرت في مصر في العقود الثلاثة الأخيرة من القرن التاسع عشر. (المترجم)

الغربي الإفريقي (1892-4)، والمحفوظات المغربية التي تقع في 33 جزءًا (1904-25)، ومونوغرافيات حول الإسلام الأسود لبول مارتي (Broc ;1981). كما يشمل مراجع هامة متمثلة في القوائم الكاملة للأرشيف الكولونيالي الفرنسي حول سوسيولوجيا الإسلام، ومن ضمنها: المنشورات الكولونيالية الفرنسية المهتمة بالمجتمع المسلم القائم، والمجلة الإفريقية، ومنشور لجنة إفريقيا الشمالية، وعدد من المراجعات الجغرافية. وفي النهاية، يتعين الإشارة إلى مجلة العالم الإسلامي (1904-24) غير المعروفة كثيرًا اليوم، سوى بين أوساط المختصين، وهي التي أبدعت عمليًا الدراسة السوسيولوجية المقارنة للمجتمعات الإسلامية. بهذا الشكل، تجمّع ما يسمى الأرشيف الكولونيالي الفرنسي حول المجتمعات الإسلامية، الذي بدأ سنة 1798 مع الرحلة الاستكشافية النابليونية إلى مصر، وبلغ ذروته مع الاستقلال الجزائري سنة 1962.

دعمت (كما أعطت دفعة) سوسيولوجيا الإسلام الفرنسية، بشكل مؤثر، مختلف البنيات المؤسسية. وفي مقابل اللاتمرکز المتزايد للحقل الأمريكي، كانت سوسيولوجيا الإسلام الفرنسية منذ بدايتها مرتبطة مؤسسيًا بالدولة الفرنسية. ومن بين المجموعات الثلاث الأساسية المساهمة في إنتاج المعرفة حول المجتمعات المسلمة (ضباط الشؤون الأهلية، والأكاديميون، والهواة المدنيون) فإنّ هذه المجموعة الأخيرة غير مرتبطة مؤسسيًا وبشكل مباشر بالدولة. وسأنتظر في الوقت المناسب، وبتفصيل كبير، لكل منها. يظهر جليًا هذا الارتباط في حالة ضباط المكاتب الأهلية الذين أنتجوا عددًا من أفضل الأعمال حول المجتمع الجزائري في القرن التاسع عشر. وهو ما يصدّق، كذلك، على أعمال الأكاديميين التي كانت مشابهة، والتي أنتج أغلبها سواء برعاية مؤسسات المحور القيادية (مثل الكوليج دو فرانس، ومدرسة اللغات الشرقية، والمدرسة التطبيقية للدراسات العليا، وأكاديمية النقوش والآداب، ومؤسسات أخرى)، أو من قبل المدارس والجامعات المغاربية الاستعمارية في نهاية القرن التاسع عشر، التي كانت إما تلك المدارس الفرنسية-العربية المحلية (في الجزائر) أو الثانويات، أو الجامعات (الجزائر، وتونس، والرباط). بالإضافة إلى تلك المؤسسات الهامة، أيضًا، الموجودة بوصفها مراكز للإنتاج المعرفي حول المسلمين في كل من القاهرة، ودمشق، والرباط، وديكار. وقد هدفت مبادرة ما بعد الحرب العالمية الأولى لتطوير خط سياسي نسقي لإدارة المستعمرات الفرنسية في الشرق الأوسط، وشمال إفريقيا، وإفريقيا الغربية الفرنسية من خلال مركز الدراسات العليا لإدارة البلاد الإسلامية (CHEAM). وعمومًا، كانت دائمًا هذه المؤسسات الاستعمارية ظلًا فكريًا لكثير من مؤسسات المحور الهامة التي سبقت الإشارة لها.

تأتي أهمية الأرشيف الكولونيالي الفرنسي للمجتمعات المسلمة من وجهين: الأول: إنتاجه الفكري، والثاني: قوة تنوعه المؤسسي. ولا مجال للمقارنة بينه وبين حوليات المعرفة المتعلقة بالشعوب الإسلامية

المستعمرة، سواء البريطانية ( تلك المناطق تتضمن: الهند، وإفريقيا، والشرق الأوسط) أو الهولندية (القوة الأوروبية الأخرى المستعمرة لنسبة مهمة من الشعوب الإسلامية). ولتقريب أوجه المقارنات يجب أن ننظر إلى مكتب الخزانة البريطاني الهندي (الذي يحتوي الأرشيف الكولونيالي الهندي) الذي اهتم منذ البداية بالشعوب الهندية لآسيا الجنوبية، الذين يبلغون 80% من مجموع السكان (Cohn, 1996). لقد أولت بريطانيا اهتمامًا كبيرًا للشعوب المسلمة الهندية (Lelyveld 1978, Hardy 1972). والخلاصة تبدو واضحة: إذا اهتمنا بسوسيولوجيا الإسلام، سيتأكد لنا بأن الأرشيف الكولونيالي الفرنسي حول الشعوب المسلمة لإفريقيا والشرق الأوسط، هو التدخل الفكري الأقوى دلالة، وأن بطء تعرف العلماء الناطقين بالإنجليزية على هذا الواقع، لم ينتقص من أهمية ذلك الأرشيف بأي شكل من الأشكال.

## سوسيولوجيا السوسيولوجيين

إذا كانت مصر قد سجلت بداية سوسيولوجيا الإسلام الفرنسية، فإن المغامرة الجزائرية (1830-1962) شكلت مسار التطور في سوسيولوجيا الإسلام بفرنسا. هذه، بالضبط، الحالة عندما نأخذ بعين الاعتبار التأثير المؤثر للغزو الكولونيالي من ناحية، والمقاييس الفكرية لهذا الحقل الناشئ بشكل أقل من ناحية أخرى. وإذا ما بحثنا في التقليد الفرنسي لسوسيولوجيا الإسلام من منظور تاريخي، فسيبدو أنه يتكون من ثلاثة مسارات كبرى شكلت تفاعلاتها المركبة هذا الحقل على مدى قرن ونصف. وهذا ما جعل التجربة الجزائرية نموذجًا من عدة نواح لما سيأتي بعدها. وكانت تلك التقاليد، هي: المكاتب الأهلية (بيرو وأراب)، والهواة المدنيون، والأكاديميون. وكانت لهذه المجموعات الثلاث، بحكم ارتباطها بالقوى الاجتماعية الحقيقية ذات الاهتمامات والتصورات الحقيقية للمجتمع أهمية أولى، ليس لفهم ما ينطوي عليه الحقل الفكري فحسب، بل أكثر من ذلك لفهم حركات السياسات الكولونيالية الفرنسية.

كان تراث ضباط المكاتب الأهلية أكثر الأشكال أهمية في تطور السوسيولوجيا الجزائرية. وعلى الرغم من موقعهم في الحقل السياسي، كانوا بشكل ملحوظ أفضل مزود بالمعلومات، وأكثر تيقظًا لأثر السياسات الفرنسية في المسلمين الجزائريين. وقد قاوموا باعتبار تأثرهم العميق بالسان سيمونيين<sup>3</sup> هيمنة الثنائيات داخل الاستشراق المحتكم إلى القوة، واستعاضوا عنها بالبحث عن توفيق مُثل السلطة الفرنسية مع الإنسية الكونية لحقوق الإنسان. كان السان سيمونيون (Imerit, 1941) من بين المؤسسين للمكاتب الأهلية (مثل الزعيمين: لاموريسيير (La Moricière) وريتشارد (Richard)). أمّا اليوم فإنّ السان

<sup>3</sup> - السان سيمونيون: نسبة إلى كلود هنري دي ريفروي، كونت "سان سيمون" (1760-1825)، مذهب سوسيو اقتصادي وسياسي دافع عن فكرة الإنسية (المراجعة)

سيمونيين أكثر انسجامًا مع شخصية إسماعيل أوربان "المدافع عن السكان الأصليين" (Indigénophile)، والذي ساعدت أفكاره في إقناع نابليون الثالث بإعلان الجزائر مملكة عربية تحت حمايته الإمبريالية ضد من يحاولون الاستيلاء على الأرض ومن تحالفوا معهم في البيروقراطية الكولونيالية (Levallois, 2001).

جاءت الحصة الكبرى من الأعمال الأكثر أهمية حول المجتمع الجزائري، وعاداته، ودينه من أولئك "الروبنسات" أصحاب النياشين<sup>4</sup> كما يسميهم جاك بيرك (Berque, 1962). واستمدت المكاتب الأهلية بفعل ارتباطها بالقبائل قوة وضعفًا، في الآن نفسه، فهمها للمجتمع الجزائري. كانت ثقافة المجتمع القبلي، من حيث "بنية الأخلاق" (moral topography) محددة منذ البدء في نقاطها الرئيسية من قبل رجال المكاتب الأهلية. كان نموذج البنية القبلية المؤسس على النسب العائلي الأبوي العمل الأول المنجز من قبل دوماس (Daumas) (1844، 1853)، وبين (Pein) (1893)، وريتشارد (1848، 1893) وأوربن (Urbain) (1847). وقد استمرت هذه الأعمال في الإلهام حتى وصلنا إلى أطروحة روبير مونتاني (1930). ومكّن تطور استعمال تقنيات المقابلة الشفوية من إنجاز دراسة القبائل الصحراوية (1845) لدوماس، ودراسة إرنست كاريت (Ernest Carette) حول القبائل، على أساس الاستجواب الحذر (a careful cross-questioning) للمخبرين المحليين (1848). وتم تطبيق المنهج نفسه، من بعد، لإنتاج أعمال، مثل: كلمات وأشياء بربرية لإميل لاوست (Emile Laoust) (1920) ودراسة أوجست مولييراس (August) Moulières حول الريف (1902).

بادر، كذلك، ضباط المكاتب الأهلية لدراسة الإسلام الشعبي، خاصة دور الطرق الصوفية. وكانت دراسة شارلز ريتشارد (1846) حول الجذور الدينية الشعبية للمقاومة الجزائرية بعنوان "دراسة حول تمرد الدهرة" (1846-1845) المحاولة الأولى لاستكشاف تاريخ العصر الذهبي للإسلام الشعبي ومحتواه. لقد رأى ريتشارد الإسلام من خلال مشاهد المقاومة الدينية للثورة الفرنسية، وحينها رأى، أيضاً، المعتقدات الدينية الشعبية مصدرًا للقوة الروحية والمقاومة السياسية (Burke, 2002). وكان الموضوع ذو العلاقة الذي أثار كثيراً من البحث، هو الدور السياسي للأولياء (الأولياء الشعبيين). وكان كتاب "الخوانيون: الأنظمة الدينية عند مسلمي الجزائر" لفرانسوا دو نيفو (François de Neveu) (1845) حول الانتماء العضوي للطريقة الأول في سلسلة التحريات المؤسسة على نسقية المعلومات المجمعّة بواسطة الاستمارة الإدارية. كما يتضمن، كذلك، أعمالاً أخرى كبيرة، مثل: لويس رينان (Louis Rinn)

<sup>4</sup> - نسبة إلى روبنسن كروزو بطل رواية الكاتب دانييل ديفو (المترجم).



"الأولياء والخوان" (1884)، وأوكتاف دوبون (Octave Depont) وزافيي كوبولاني (Xavier Coppolani) (1897). وقد تلاشى اهتمام فرنسا أساسًا بالقوة السياسية للإسلام بسبب إخماد آخر ثورة كبرى سنة 1871، وهو ما تؤكد، لاحقًا، من خلال سوء فهم الملاحظين الفرنسيين لثورة عبد الكريم (1921-6)، [و بروز] النزعة الوطنية في القرن العشرين.

إنّ الملح اللافت في الإثنوغرافيا الفرنسية كون ملاحظة الأوائل، في الغالب، أكثر تعقيدًا وأقلّ انحرافًا أيديولوجيًا على ما يبدو. لم كان الوضع على هذا الحال؟ هناك أسباب عديدة تتأتى إلى الذهن. لقد كان للجيل الأول امتياز كونه الأول، وبطبيعة الوضع، كل شيء بدا جديدًا، وطازجًا، وهامًا. وأكثر من ذلك، كان العديد من الملاحظين الأوائل رجال عسكر، أو مرتبطين مباشرة بالمشروع الاستعماري، فكانت لهم مصلحة خاصة في فهم المجتمع في كل خصوصياته، والقدرة على التمييز بين مكوناته الأساسية. وإذا شئنا النظر إلى الموضوع ببساطة، فالحياة قد تتعذر بدون الاعتماد على ذلك الفهم. استتب الأمر للبيروقراطية اليومية فيما بعد، وكل ما اضطر إليه الإداريون، هو تحيين تقارير أسلافهم، فطغى تدريجيًا عمل الأوراق على مهمتهم، وصاروا يقضون وقتًا أقل في ساحات الأسواق أو على ظهور الخيل لتأدية مهامهم. وأخيرًا، وبعد مرور الوقت، تحولت الغلبة العسكرية بشكل حاسم لفائدة الأوروبيين. وظهر بأن القدرة البالغة على نشر التكنولوجيات العسكرية الجديدة عوضت أخطاء التحاليل السياسية (Adam, 1972). وعلى الرغم من شجاعة القوى القبلية ومهارتها، كانت مواجهتهم للمدفع بدون جدوى. ونتيجة كل هذه الأسباب، كانت المراحل المبكرة تأسيسية. وانطلاقًا من هذا الوضع كانت الخطوة نحو تلك الأعمال الوحشية الكبيرة (بعدئذ، تم الاعتذار عنها باسم الضمير الذي يرافق توسع الإمبراطورية الفرنسية).

إذا رسمنا خريطة للدفعات المتوالية للجيش الفرنسي الزاحف على إفريقيا الشمالية، سنجد أنّها تتناسب بشكل متقارب مع تقدم المعرفة حول المجتمع. وسيكتمل عمليًا الاكتشاف الإثنوغرافي للجزائر مع نهاية الإمبراطورية الثانية، وستظل الصحراء لوحدها دون اكتشاف. في تونس، لدينا إثنوغرافيات جيدة للمناطق الجنوبية فقط، وكان النظام الإداري العسكري الجزائري وحده يستعملها. وفي المسار نفسه، تم الانخراط، بقوة، في التطور التاريخي للمعرفة الفرنسية حول المغرب: كانت البداية بسكان المناطق الساحلية والسهل المركزي [الأوسط]، ثم المدن الداخلية، وفيما بعد، قبائل الريف، وجبال الأطلسين المتوسط والكبير، وواد سوس، والسهوب الصحراوية. غير أنّ العمل في المغرب طبعه تقسيم للعمل بين موظفي الجيش، والأكاديميين؛ حيث درس موظفو المكاتب الأهلية سكان الأطلس البربر وسكان المناطق الصحراوية، في حين اشتغل الأكاديميون المدنيون الفرنسيون على المدن والسهول.

وكانت ثاني كبرى المسارات لسوسيولوجيا الإسلام الفرنسية ممثلة في عمل الهواة المدنيين والمستكشفين، الذين اتسمت كتاباتهم بالاهتمام المباشر باحتلال الأرض، وتحقيق رفاه مجتمع المستوطنين. وكانت مساهمتهم الفكرية في الحقل [سوسيولوجيا الإسلام] الأضعف من بين المساهمات الثلاث. إلا أنه ولدى تقييمها من الناحية السياسية، بدت هذه المساهمة جدّ أساسية. إنّ اشتداد النقاش بعد 1871 في الجزائر المستعمرة بين اهتمامات المستوطنين والحماة الرئيسيين للسكان المسلمين، أي المكاتب الأهلية، أدى إلى التسييس المتنامي للإثنوغرافيا الفرنسية. ومنذ أن صار الإنتاج الفكري للمكاتب الأهلية شبه مستقل، تصاعدت هيمنة خطاب السياسات الكولونيلية الفرنسية على إثنوغرافيا الجزائر، إذ لم يعد هناك تهديد حقيقي، إذن لا ضرورة لأخذ المسلمين مأخذ الجد، وبالتالي صارت هناك محفزات ضعيفة لدراساتهم. وتبلورت ما بين 1871 و1919 تصورات نمطية إنجيلية [ذات خلفية مسيحية] في شكل صورة عنصرية للمجتمع الجزائري (Ageron, 1960). وهذا ما وجد تعبيراً مباشراً في الإنجيل الاستعماري الجزائري (The Algerian Colonial Gospel)، وهو مجموعة من التصورات النمطية حول طبيعة المجتمع الجزائري المسلم. وكانت الأهمية العظمى لما سمي بأسطورة القبائل؛ أنّها مجموع تلك التصورات النمطية للاختلافات المفترضة بين العرب والبربر، وكان الإصرار عليها واحداً من أهم المظاهر المستمرة التي تحملها سوسيولوجيا الإسلام الفرنسية (Lorcin, 1995).

ويمثل الأكاديميون الفرنسيون ثالث مسارات سوسيولوجيا الإسلام، وهم لم يظهروا كمجموعة متميزة إلا بعد 1871 استجابةً لتحديث الجامعة الفرنسية، وبروز تخصصات العلوم الاجتماعية. ويعد إميل مسكراي (Emile Masqueray) الشخصية التي منحت، أكثر من أي كان، للدراسة الأكاديمية للمجتمع الجزائري وجهة وشرعية، وذلك في كتابه "تكوّن الحواضر لدى السكان المقيمين بالجزائر" الذي ظهر سنة 1886 (أعيد طبعه سنة 1983). وكان مسكراي خريج المعهد العالي للمعلمين الذائع الصيت في خضم التيارات الفكرية لعصره عوضاً أن يكون على الهامش كباقي الأكاديميين الجزائريين الفرنسيين. وعلى الرغم من أنّه قام بالكثير لتأسيس مدرسة الجزائر لتكون مؤسسة إقليمية محترمة، وكاد أن يكون دوركهايم سوسيولوجيا الإسلام (لم يكن قليل الطموح: كانت أطروحته هجوماً على عمل فوستل دو كولانج (Fustel de Coulanges)، زعيم المؤرخين في وقته)، بيد أنّه في النهاية لم تكن له القدرة على تجاوز النتائج الفظيعة لانخراط السوسيولوجيا الكولونيلية في السياسة، خاصة مع غياب أتباع له (Colonna and Brahim, 1976).

تأثرت بقوة كذلك سوسيولوجيا المجتمعات المسلمة لإفريقيا الغربية الفرنسية (Afrique occidentale française) بالنموذج الجزائري. وبدأت بشكل جدي دراسة ما سُمي فيما بعد بالإسلام

الأسود سنة 1880 حينما اهتم مختصو الشؤون الأهلية الفرنسيون، والعسكريون، والمدنيون بدور الطرق الصوفية في حزام إفريقيا الغربية السودانية، من المحيط الأطلسي إلى تومبوكتو (Triaud, 1987). وفي مناخ العنصرية والشفوفينية فائقي الحدة لفرنسا نهاية القرن، أصبح ضباط AOF حبيسي الخوف من مؤامرات الكتلة الإسلامية<sup>5</sup> (pan-Islamic)، خاصة تلك القادمة من الطريقة السنوسية، على الرغم من أنّ الأدلة الداعمة لهذه التخوفات كانت قليلة، إن لم نقل منعدمة. وطبعت، بقوة، تلك التخوفات الكتابات الفرنسية عن الإسلام الأسود في مرحلة ما قبل سنة 1914 (Triaud, 1995). ويعد عمل بول مارتي (Paul Marty) (1938-1882) حول الإسلام الأسود اكتشافاً جوهرياً لدراسة إسلام إفريقيا الغربية في مرحلة 1913-25 (Marty, 1913, 1916, 1919, 1920-1 a, 1920-1b, 1922, ) (1926). ويعتبر مارتي من بين آخر الإثنوغرافيين العسكر الذين تكوّنوا في ظل تقليد الشؤون الأهلية الجزائرية. ومن بين أكثر من عشر مونوغرافيات (أكثرها قيمة "مريدو أمادو بامبا" التي ألفها سنة 1913) تبقى الإنتاجات الاستثنائية لمارتي ماثلة وحدها في حويلات سوسيولوجيا الإسلام الفرنسية (التي تأسست على نشر استمارات الضباط المحليين في إفريقيا الغربية الفرنسية).

ركز مجموعة من الأكاديميين الفرنسيين، الذين عُرفوا باسم مدرسة الجزائر في نهاية القرن التاسع عشر بقيادة رينيه باسيه على الإسلام الجزائري. وكانت هذه المجموعة تمظهرًا للعديد من القوى المتشابهة التي غيرت من بعدُ التعليم العالي الفرنسي. اعتُبر إدموند دوتي (Edmund Douuté) قائدًا فكريًا هامًا، حيث كانت السوسيولوجيا كما أتى بها تُتعلّم بشكل واسع تعلمًا ذاتيًا، لكنه كان أيضًا قادرًا على الارتباط بالدوركهايميين بمهارة غاية في الفنية (Valensi, 1984). لقد ركز الإنتاج الفكري لمجموعة مدرسة الجزائر على دراسة التراث الشعبي، والدين الشعبي، وعلم اللهجات. وبعبارة أخرى، دراسة المواضيع القليلة الفائدة والطموح فكريًا. وكانت المجموعة، أيضًا، منخرطة سياسيًا بشكل كبير، وهو الأمر الذي رافق خصوصًا تفاقم مناخ الشوفينية الذي سيطر على المرحلة التي أدت إلى الأزمة المغربية لسنة 1905. وعلى إثر ذلك عممت سوسيولوجيا الإسلام، عشية مهننتها، خطابًا عميقًا مُشبعًا بالحضور الاستعماري الفرنسي.

إنّ تأسيس كرسي سوسيولوجيا الإسلام (السوسيوغرافيا والسوسيولوجيا الإسلامية) في الكوليج دو فرانس سنة 1902 وسَم ظهور هذا الحقل. وكان ألفرد لوشاتولي (Alfred Le Chatelier) صاحب هذا

<sup>5</sup> - مصطلح (يعني حرفيا "يتضمن كل المسلمين" على غرار الكتلة الألمانية والكتلة الأمريكية) استعمله الموظفون والخبراء الاستعماريون الأوروبيون بشأن الإسلام للإشارة إلى مشاعر التضامن الباقية بين المسلمين عبر الحدود القومية، والتي خافوا من احتمال تعيبتها ضد الحكم الاستعماري. وهكذا استحضر الأوروبيون في ذروة الهيمنة الأوروبية العالمية ذاتها تصورات غامضة مهددة عن جمعيات سرية من المسلمين القساة المتعصبين تتآمر للإطاحة بالحكم الاستعماري في كل مكان عبر العالم الإسلامي عبر طقس عربي يقوم على إراقة الدماء. (المترجم)

الكرسي مرتبطاً سياسياً باعتباره موظفاً سابقاً بالمكاتب الأهلية، وملتزماً بتطوير وعي ذاتي سوسيولوجي عن السكان المسلمين للإمبراطورية الفرنسية. قام لوشتاولي قبل تعيينه بإنتاج عدد من الدراسات لفائدة وزارة الحرب حول السكان المسلمين لإفريقيا الغربية، والحجاز، ومصر، والمغرب (نشر بعضها فقط). وبعد تعيينه تم إصدار قرار حكومي يطلق يده للبحث في المغرب والمجتمعات الإسلامية عامة. أسس لوشتاولي البعثة العلمية بالمغرب في طنجة سنة 1903، وكذلك دورية علمية رائدة حول المغرب، وهي المحفوظات المغربية (1906-26)<sup>6</sup>. ونشرت مجلة المحفوظات المغربية دراسات تمتد من الإثنولوجيات الموثوقة (authoritative ethnologies) إلى ترجمة النصوص المفتاحية في مختلف المواضيع التي تشمل: التسلسل الزمني للسلاطات الحاكمة، وشجرة الأنساب الصوفية، وقانون الملكيات [القانون العقاري]. ونشرت المجلة، بالخصوص، عدداً من الدراسات الإثنو-تاريخية المؤثرة من قبل جورج سالمون (George Salmon) وإدوارد ميشو-بيليير (Edward Michaux-Bellaire). وتحت إدارة لوشتاولي، أيضاً، انطلقت السلسلة الثانية بعنوان: مدن وقبائل المغرب، بتعاون بين السوسيولوجيين وضباط الشؤون الأهلية. ونشرت هذه السلسلة عملياً أجزاء حول الدار البيضاء، والرباط، وطنجة. وهناك أيضاً بعثات أخرى مهمة دعمتها رابطة المجتمعات الجغرافية في هذه المرحلة. قام إدموند دوتي بأربع بعثات بحثية درست سكان الساحل الأطلسي لجنوب الدار البيضاء. لقد أصبحت المعرفة الفرنسية للمغرب ابتداءً، من 1890 كحد أدنى وإلى حدود 1925، جوهرة التاج في سوسيولوجيا الإسلام الفرنسية.

إنّ الرابط الأساسي بين سوسيولوجيا الإسلام وتخصص السوسيولوجيا في فرنسا هو ظهور المدرسة الدوركهايمية. ويعلن كل من دوتي ولوشتاولي نسبهما الدوركهايمي (وجب ذكر ذلك، حتى إن لم يكن ليصدق). وعلى الرغم من أنّ دوركهايم وأتباعه اشتهروا بعدم اهتمامهم بالعالم خارج فرنسا، فإنّ سمعة النموذج الدوركهايمي تتمثل في اعتبار السوسيولوجيا في فرنسا تخصصاً دائماً التحول. بالفعل، إنّ انشغال الدوركهايميين بالمصنفات الإحصائية أحال على انشغال علماء الاجتماع الفرنسيين بشأن يعود إلى القرن الثامن عشر. وبالتأمل، يمكن أن يظهر اهتمام مماثل بالإحصاءات الاجتماعية عند الاطلاع على أسفار فالوني وملفات القبيلة الجزائري الاستعماري. في هذا المعنى، يمكن القول إنّ سوسيولوجيا الإسلام، كما تطورت في القرن التاسع عشر في إفريقيا الشمالية، كانت متأقلمة بشكل مسبق مع وقائع التخصص في القرن العشرين للأكاديمية الفرنسية. وفي الوقت نفسه، يمكن أن نسجل تأثير المسار الثاني للسوسيولوجيا

<sup>6</sup> - يبدو أنّ إدموند بورك أورد هذه المعلومة خطأ حيث إنّ المحفوظات المغربية بدأت سنة 1904، وليس سنة 1906، وتبعها مجلة العالم الإسلامي سنة 1906، ثم منشور آخر سنة 1914 بعنوان المدن والقبائل في المغرب، ثم مجلة المحفوظات البربرية سنة 1915، وفي 14 أكتوبر 1919 ألحقت البعثة بمديرية الشؤون الأهلية للإقامة العامة، وأصبحت قسماً للدراسات السوسيولوجية، واستطاعت البعثة في نهاية المطاف إصدار 24 جزءاً من الأرشيف المغربي، و35 جزءاً من مجلة العالم الإسلامي، و6 أجزاء من مدن وقبائل المغرب. (المترجم).

الفرنسية، ذلك العلم الذي سيوصف سياسياً، بكونه حاملاً لوعي أكثر ذاتية من بين علوم الملاحظة الاجتماعية. يمكننا أن نسجل تأثير وصف مصر في سوسيولوجيا الإسلام في الأجيال المتعاقبة، من ضباط المكاتب الأهلية السان سيمونيين في الجزائر إلى مدرسة ليوطي للشؤون الأهلية والمؤرخين الإثنيين الرواد كإوارد ميشو بيلير. وهؤلاء أثروا فيما بعد في روبير مونتاني (Robert Montagne) (1930)، وروجي لوتورنو (Roger Le tourneau) (1949) وجاك بيرك (Jacques Berques) (1956). ساهمت، إذن، سوسيولوجيا الإسلام في تنوع السوسيولوجيا بفرنسا، من حيث الإحصاءات الاجتماعية من جهة، والملاحظة الاجتماعية من جهة أخرى.

تكن أهمية لوشاتولي فيما هو أبعد من مساهماته في سوسيولوجيا المغرب. لقد أعلن من على رأس مجلة العالم الإسلامي (1906-26) أنها "لا استشرافية ولا استعمارية". وبدلاً من ذلك، "تُعرّف مجلة العالم الإسلامي بالإسلام في طور تحوله الحالي"، وركزت اهتمامها على جمع "الوقائع الاجتماعية" حول المجتمعات الإسلامية، محاولة بذلك تجنب السياسة. وفضلت الارتباط الواضح مع تيارات توظف مقاربات إيديولوجية أقل إزاجاً في دراسة المجتمعات الإسلامية (على أي حال، كانت تمردات الكتلة الإسلامية القضية العليا للوهم الأوروبي). لقد كسرت مجلة العالم الإسلامي العلاقة بالأنموذج الاستشراقي بشتى الطرق، من خلال معانقتها لموضوعات المجتمعات الإسلامية المعاصرة من الفلبين إلى المغرب، بدلاً من الخطابات الملقنة حول النفط الغامضة في النحو العربي، أو ملفات القبيلة العزيزة على الإثنوغرافيين الاستعماريين الفرنسيين. إن الصورة المركبة للمجتمع الإسلامي في الربع الأول لقرننا، والتي ظهرت من خلال إعادة قراءة المجلة هي صورة مجتمع حي وحيوي (بالفعل، هي سلسلة مجتمعات تتقاسم "التقليد العظيم" نفسه)، احتجز داخل حركة التغيير، وانقسم على نفسه، وتاه بخصوص أي السبل يختار. وذلك، بعكس التصور الاستعماري الإنجليزي الذي وصف الإسلام "جائماً مثل قطعة رصاص" (weigming down like a leaden mantale) على [كاهل] المجتمع، ويشوّه حياة الأفراد، ويخنق إمكانيات التغيير (Doutté, 1909). وتعتبر أكثر إنجازات المجلة أهمية ما أدت إليه سعة نظرها من استدعاء وجود حقل جديد- سوسيولوجيا الإسلام- وإعطائه مكاناً في مركز مؤسسات المحور Metropolitan institutions.

تسببت الحرب العالمية الأولى في انهيار الإمبراطورية العثمانية والخلافة، واقتسام الحلفاء المنتصرين للشرق الأوسط، وسقوط الكتلة الإسلامية، وبروز النزعة الوطنية. كما أدت، أيضاً، إلى تغييرات كبرى بخصوص المستوى الخطابي. كما تم منع إمكانية مزيد من المواقف المنفتحة تجاه المجتمعات المسلمة كتلك الممثلة في البعثة العلمية بالمغرب، ومبادرة مجلة العالم الإسلامي، التي نشرت

آخر أعدادها سنة 1926. إنَّ تأسيس معهد الدراسات العليا المغربية سنة 1920، وتحول البعثة العلمية بالمغرب إلى القسم السوسيولوجي (هي شعبة بيروقراطية للسياسة العسكرية الأهلية) طبع التحول نحو مزيد من المهنية، لكن أيضًا إلى مقاربة مبنية على توجيه حكومي واضح للبحث. إنَّ التفويض الفرنسي للحكومات في كل من سوريا ولبنان اعتمد أيضًا على تقليد المكاتب الأهلية. وفي التقسيم الجديد للعمل استوطن المستشرقون والمؤرخون المعهد الفرنسي بدمشق الذي أعيد إحياءه. وفي باريس، بدأت تظهر سوسيولوجيا الإسلام متصلة بالسياسة (مرتبطة أيضًا بتقليد المكاتب الأهلية، بدلاً من المدرسة الدوركهايمية). وركز مركز الدراسات العليا لإدارة البلاد الإسلامية (CHEAM)، بإدارة روبير مونتان، أبحاثه حول المجتمعات المسلمة تحت القانون الاستعماري الفرنسي. ومات حلم لوشاتوليي بخصوص تأسيس مكتب مركزي يتكفل بتنسيق البحث حول المجتمعات المسلمة بموت الخلافة والكتلة الإسلامية. وطرح بروز النزعة الوطنية تحديات كبرى على الملاحظين الاجتماعيين. وأدت مهنة (professionalisation) حقل السوسيولوجيا إلى الفشل في تحقيق تحول فكري داخل الأشكال الاستعمارية للمعرفة.

يصعب التمييز هنا في طبيعة التحدي القومي الذي يبدو أنه رسَّخ تشبُّهًا متصلبًا بال نماذج الاستشراقية. [وهكذا] استمرت الدراسات على مشارف نهاية الوجود الفرنسي بشمال إفريقيا الشمالية لمدة طويلة في إفراز دعاوى تقول بالأهمية السياسية للأنظمة الصوفية على الرغم من أنها لم تعد كذلك. وبغض النظر عن بعض الدراسات المتأخرة حول دور الصفيح في مدن إفريقيا الشمالية ( ; n 1952, Montagne, 1963, Adam) فإنَّ القليل من الدراسات التي أنتجت في مرحلة ما بعد الحرب العالمية الثانية هي التي انخرطت في واقع الاستعمار الفرنسي. حتَّى أنَّ كتاب جاك بيرك الجدير بالثناء بعنوان البنيات الاجتماعية في الأطلس الكبير مثلَّ تراجعًا عن الوضوح (ذلك أنَّ بيرك بدا أكثر شجاعة في بداية مساره حين ينتقد المجتمع الاستعماري). لماذا حصل هذا؟ كانت السوسيولوجيا الكولونيالية منذ البدء، وبشكل مباشر، متورطة في مسار الهيمنة. إنَّ ما بحث عنه رجال المكاتب الأهلية في نهاية الأمر ليس الفهم السوسيولوجي لهذه المجتمعات، بل السر أو الأسرار المفتاحية التي ستسمح لهم، إن عُرُفت، بتحقيق السيطرة. يمكن القول إنَّه منذ البداية، كانت أبحاثهم موجهة بطبيعة علاقتهم بالقبائل التي كانوا يتحكمون بأقدارها. بالتأكيد، لم يكن رجال المكاتب الأهلية علماء اجتماعيين. لذلك، من غير المعقول محاسبتهم على ما لم يكونوه طالما تعذر عليهم ذلك. غير أن ما يصدق على المكاتب الأهلية يصدق أيضًا على مدرسة الجزائر، ومعهد الدراسات العليا المغربية، والمعهد الفرنسي بدمشق. إنَّ العلاقة بين المستعمر

والمستعمر، كما في مبدأ الشك لهايزنبرغ، تدخلت لتثبت أنه في خضم عمل الملاحظة، يتم تعديل الظاهرة الملاحظة نفسها.

ما لاحظته رجال المكاتب الأهلية، أو الأدهى، ما تجاهلوه، هو دلالة أين وكيف قابلوا (encountered) القبيلة. يمكن القول، لقد استمدت [ذلك] من علاقتها بالراهن الفكري لعصرها، وبنياتها وأفكارها السياسية. يمكن، فقط، على هذا الأساس تشييد سوسيولوجيا هؤلاء السوسيولوجيين؛ أي سوسيولوجيا معرفة السوسيولوجيا الكولونيالية. ما رأوه كان متجذراً في الخصوصية المكثفة للقبيلة، ونمط حياتها، ومعتقداتها، وممارساتها، وعلاقتها بالسلطة السياسية، وارتباطاتها بالأرض. لكن، تمت رؤية القبيلة من خلال شبكة من الأفكار النمطية للاستعمار الإنجليزي. وفي نهاية المطاف، يمكن القول إن القبيلة في نظرهم كانت ثابتاً جوهرياً من ناحية، كما أن شعرة واحدة تربطها بالعالم الفسيح وبالماضي من ناحية أخرى. لقد تم، بشكل واسع، تجاهل التحولات التي سببها الحضور الاستعماري، والملاحظ الاستعماري. عرف البعض (رجال المكاتب الأهلية) جيداً أن المجتمع يتغير على مرأى منهم، وأن هناك عوالم تهرب عنهم، وبأن ما كانوا يفعلونه كان متجاوزاً زمنياً حتى في وقته، إلى درجة أن هؤلاء الملاحظين، الذين كانت رؤيتهم الأيديولوجية تُهدد أحياناً بالتشويه كلياً، كانت لهم رؤى ثابتة، ومتجاوزة لنماذج هذا التقليد. وكلهم في نهاية الأمر ملتزمون بالآفاق الفكرية والإشكالية لحالة الاستعمار. بيد أن ذلك يمثل حلاً لتلك القضايا بشكل واضح، لأنه لو كانت السمة المميزة للسوسيولوجيا الكولونيالية هي ذلك التشويه المحتمل بسبب الخضوع للسلطة، لجاز القول إن سوسيولوجيا المحور ليست أقلّ خضوعاً للسلطة، ولا يسعنا هنا شرح هذه الأمور المعقدة كلياً. وأريد أن أختم بسؤال: هل يمكن القول إن سوسيولوجيا الإسلام علم استعماري في المقام الأول باعتبارها نوعاً من التخصص الفرعي البالغ التأثير بالسلطة؟ أم هل من الأفضل فهمها كجزء من السوسيولوجيا الفرنسية؟ أو بشكل أكثر تعقيداً، هما معاً.

## References:

- Adam, A.** (1963) Une enquête auprès de la jeunesse musulmane du Maroc, Aix-en-Provence, La pensée universitaire.
- Adam, A.** (1972) Bibliographie critique de la sociologie, ethnographie et Géographie humaine du Maroc, ADAM André, Mémoire du centre de recherches Anthropologiques préhistoriques et Ethnographiques, Publié avec le concours du centre national de la recherche scientifique, Alger.
- Ageron, C.-R** (1960) La France a-t-elle eu une politique kabyle? Revue Historique 223, pp 311-52.
- Berque, J.** (1956) Structure sociales du Haute-Atlas, Paris, Presses universitaire.
- Berque, J.** (1962) Le Maghreb entre deux guerres, Paris, Seuil.
- Bourdieu, P.** (1976) Le champs scientifique, Actes de recherche en sciences sociales 5, pp.88-104.
- Bourdieu, P.** (1984) Quelques propriétés des champs, in P.Bourdieu (Ed ) Questions de sociologie, Paris, Minuit.
- Bourguet, M. N.** et al. (1998) L’Invention scientifique de la Méditerranée: Egypt Morée, Algérie, Paris, Ecole des hautes etudes en sciences sociales.
- Broc, N.** (1981) Les grandes missions scientifique françaises au xixe siècle ( Morée, Algérie, Mexique ) et leurs travaux géographiques, Revue d’histoire des sciences 34, pp. 319-358.
- Burke, III, E** (2002) The Terror and Religion: Brittany and Algeria, in G. Blue, M. Bunton and R. Croizier( Eds. ) Colonialism and the modern World, White plains, NY, M.E. Sharpe.
- Burke, III, E** (Submitted a ) The Ethnographic State: France, Islam, and Morocco, 1890-1930.
- Burke, III, E** (Submitted b ) France and the Sociology of Islam, 1798-1962.
- Burke, III, E** and **Prochaska, D.** (2002) Orientalism from Postcolonial Theory to World History, in E. Burke, III, and D Prochaska ( Eds. ) Genealogies of Orientalism: History, Theory, Politics, Lincoln, University of Nebraska Press.
- Carette, E.** (1848) Etudes sur la kabylie proprement dite, Paris, Imprimerie nationale, 1848, 2 Vols.
- Cohn, B.S** (1996) Colonialism and its Forms of Knowledge: The British in India, Princeton University Press.
- Colonna, F.** (1995) Islam in the Sociology of Religion, Economy & Society, 24, pp. 225-44.
- Colonna, F.** and **Brahimi, C** (1976) Du bon usage de la science colonial, in Le Mal de voir, Ethnologie et Orientalisme: politique et epistemologie, critique et autocritique, Cahiers Jussieu No. 2, Paris, Collection 10/18.
- Dumas, E** (1844) Exposé de l’état actuel de la société arabe, du gouvernement, de la législation qui la régit, Algiers, Imprimerie du gouvernement.



- Dumas, E** (1845) Le Sahara algérien. Etudes géographiques et historiques sur la region au sud des Etablissement français en Algérie, Paris, Fortin.
- Dumas, E** (1853) Moeurs et coutumes de l'Algérie. Tell, Kabylie, Sahara, Paris, Hachette.
- Depont, O. and Coppolani, X.** (1897) Les confréries religieuses musulmanes, Alger, Jourdan.
- Doutté, E.** (1909) Les causes de la chute d'un sultan, Renseignement Coloniaux, supplement to Bulletin du Comité de l'Afrique française 7-12.
- Emerit, M.** (1941) Les Saint-Simoniens en Algérie, Paris, Les Belles Lettres.
- France, Commission des sciences et des arts d'Egypte( 1809-28 ) Description de l'Egypte: ou, recueil des observations et des recherches qui ont été faites en Egypte pendant l'expédition de l'année françaises, 23 vols, Paris, Imprimerie impériale); 2<sup>nd</sup> edn, 1820-30, 24 vols, Paris, Editions Pankouke.
- Hardy, P** (1972) The Muslims of British India, Cambridge University Press.
- Laoust, E** (1920) Mots et choses berbères, notes de linguistique et d'ethnographie. Dialectes du Maroc, Paris, A.Challamel.
- Leyveld, D.** (1978) Aligarh's First Generation, Princeton, Princeton University Press.
- Le Tourneau, R** (1949) Fès Avant le Protectorat, Casablanca, Société marocaine de librairie et d'édition.
- Levallois, M.** (2001) Ismayl Urbain: Une Autre Conquete de l'Algérie, Paris, Maisonneuve & Larose.
- Lorcin, P** (1995) Imperial Identities: Stereotyping, Prejudice and Race in Colonial Algeria, London, I.B. Tauris.
- Marty, P** (1913) Les mourides d'Amadou Bamba, Special Issue of Revue du monde musulman, 4-5.
- Marty, P** (1916 ) L'islam en Mauretanie et au Sénégal, Special Issue of Revue du monde musulman, 30-1.
- Marty, P** (1919) L'Emirat des Trarzas, Paris, E. Leroux.
- Marty, P** (1920-1) Etudes sur l'Islam et les tribus du Soudan, Special Issue of Revue du monde musulman, 6-9.
- Marty, P** (1921a ) L'Islam en Guinée, Special Issue of Revue du monde musulman,30-1.
- Marty, P** (1921b) L'Islam et les tribus maures: Les Braknas, Paris, E.Leroux.
- Marty, P** (1922) Etudes sur L'Islam en Cote d'Ivoire, Special Issue of Revue du monde musulman 26.
- Marty, P** (1926) Etudes sur L'Islam au Dahomey, Special Issue of Revue du monde musulman 25.
- Montagne, R.** (1930) Les Berbères et le Makhzen dans le sud du Maroc, Paris, Félix Alcan.
- Montagne, R.** (1952) Naissance du proletariat marocain, enquete collective execute de 1948 à 1950, Paris, Peyronnet.

- Mouliéras, A**(1902) Le Maroc Inconnu Etude géographique et Sociologique, Paris, A. Challamel.
- Neveu, F-E de**(1845) Les Khouan. Ordres religieux chez les Musulmans de l'Algérie, Paris, A.Guyot.
- Pein, T.** (1893) Lettres familières sur l'Algérie. Un petit royaume arabe, Algiers, Jourdan.
- Richard, C.** (1846) Etude sur l'isurrection du Dahra (1845-1846 ), Algiers, A. Besancènes.
- Richard, C.** (1848) Du gouvernement arabe et de l'institution qui doit l'exercer, Algiers, Bastide.
- Richard, C.** (1893) Du gouvernement arabe et de l'institution qui doit l'exercer, Algiers, Jourdan.
- Rinn,L.** (1884) Marabouts et Khouans: étude sur l'Islam en Algérie, Algiers, A. Jourdan.
- Said, E.** (1978) Orientalism, New York, Panthon.
- Triaud, J.L.** (1987) Islam under French Colonial Rule, in N. Levtzion and R. Pouwelles (Eds) The History of Islam in Africa, Athens, OH, Ohio University Press.
- Triaud, J.L.** (1995) La Légende noire de la Sanusiya, 2 vols, Paris, Maison des sciences de l'homme.
- Urbain, T.I.** (1847) Algérie. Du gouvernement des Tribus. Chrétiens et musulmans. Français et Algériens, Revue de l'Orient et de l'Algérie 2, pp. 241-59.
- Valensi Lucette,** (1984), le Maghreb vu du centre sa place dans l'école sociologique française, In Connaissances du Maghreb: Etude comparrée des perceptions françaises et américaines, Editions du CNRS, , Paris.
- Volney Chasseboeuf, C-F** (1787) Voyages en Egypte et en Syrie, 2 vols, Paris, Volland et Desenne.

MominounWithoutBorders



Mominoun



@ Mominoun\_sm



الرباط - أكدال. المملكة المغربية

ص ب : 10569

الهاتف : +212 537 77 99 54

الفاكس : +212 537 77 88 27

[info@mominoun.com](mailto:info@mominoun.com)

[www.mominoun.com](http://www.mominoun.com)